شؤون فلسطينية

ربيع و صيف 2021

العدد 283- 284

الشيخ جراح

شرارة هبّات فلسطين

شؤون فلسطينية

فَصليّة فِكريّة لمعَالجة أحدَاث القضيّة الفِلسطينية وشؤونها المُختَلفة
تصدُر عن مَركز الأبحاث في منظمة التحُرير الفلسطينيَّة

العدد المزدوج 283-284 ، ربيع وصيف 2021

رئيس مجلس الإدارة
د. محمد اشتية

المدير العام
د. منتصر جرار

أعضاء مجلس الإدارة
د. إبراهيم أبراش
د. أحمد عزم
د. أيمن يوسف
د. حسام زملط
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم
أ. صقر أبو فخر

رئيس التحرير
د. أحمد عز م

مدير التحرير
د. إبراهيم ربايعة

هيئة التحرير
د. أيمن يوسف
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم

مركز الأبحاث: مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.
يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية
القدس- فلسطين
تلفاكس :9702966228 +
e-mail: info@prc.ps
http://www.prc.ps

Research Center P.L.O
Al Quds - Palestine
Telfax: +9702966228
e-mail: info@prc.ps
http://www.prc.ps

مجلة شؤون فلسطينية
e-mail: Shuun@prc.ps

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة
2021

المحتويات

الصفحة

الافتتاحيــة 6

ملف العدد

القدس قناديل المقاتل: هبة القدس 2021 شرارة هبات فلسطين
أحمد عز الدين أسعد 9

العدوان على غزة بين عامي 2014 و2021: «حروب إسرائيل الجديدة»
كريم قرط وختام عجارمة 27

تأطير مآلات الهبّة: تمهيد لاستعادة مقولة «وحدة الشعب الفلسطينيّ»
محمد قعدان 53

بيتا.. أيقونة المقاومة الشعبية ضد الاستيطان
أمجد ابو العز 63

أيديولوجية النقاء اليهودي: منظمة لهافا كحالة دراسية
ملكة عبد اللطيف 77

"هبة فلسطين 2021": "الأمل" في مواجهة الجابوتنسكية الجديدة
لمى غوشة 96

العمل في الخفاء: قراءة في ممارسات التجسس على الفلسطينيين
نور بدر 114

المحتويات

أنثولوجيا

عن الرواية وتحولات المجتمع الفلسطيني :ما استمر من مضامين وما جدّ وما غاب
تحسين يقين 130

الهبة.. الانتفاضة.. والمقاومة
وديع ابو سنينة 140

اشتباك فلسطين كاملةً شهادات ومشاهد من الهبة
يامن نوباني 150

متابعات

قرار مجلس حقوق الإنسان بخصوص الأراضي الفلسطينية.. فهم قانوني عام
مي بركات 167

تداعيات قبول إسرائيل كعضو مراقب في الاتحاد الأفريقي على القضية الفلسطينية
هند المحلي سلطان 176

دراسات تاريخية

في ذكرى هبَّة البراق الثانية والتسعين
عوني فارس 191

مقابلة العدد

ضوء في آخر «نفق الحرية» عيسى قراقع
حاوره أحمد عز الدين أسعد 206

صورة قلمية

كريمة عبود.. المصورة الأولى في فلسطين
ريهام المقادمة 216

مراجعات

فلسطين.. أربعة آلاف عام في التاريخ
حسام ابو النصر 226
إما نحن وإما هم، معركة القسطل: الساعات الأربع والعشرون الحاسمة
مرح خلف 238
حرب المئة عام على فلسطين: قصة الاستعمار الاستيطاني والمقاومة 1917-2017
مرح حرز الله 246

مراجعات قصيرة

رنيم العزة 257

وثائق

كلمة الرئيس محمود عباس، رئيس دولة فلسطين، في الجمعية العامة للأمم المتحدة، الدورة 76، نيويورك 24 سبتمبر/ أيلول 2021 279

صورة الغلاف: لوحة للفنان الفلسطيني الراحل اسماعيل شموط

الآراء الواردة تعبّر عن وجهات نظر كاتبيها، ولا تعكس بالضرورة آراء المركز

تصميم : أمير الطويل

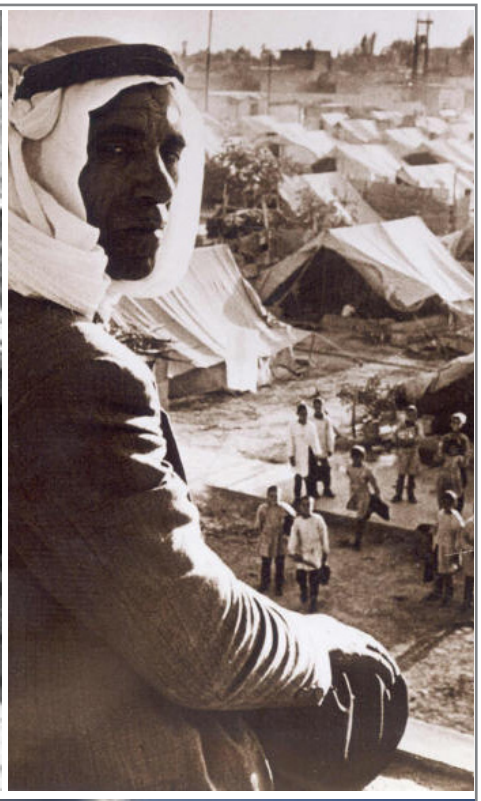

أنثولوجيا

أنثولوجيا

الهبة.. الانتفاضة.. والمقاومة

وديع أبو سنينة*

هي جزء من حياة كل فلسطيني، هي جزء من هويته، هي جزء من ذاكرته، هي جزء من ثقافته، هي الانتفاضة الفلسطينية، أو أي مسمى يدور في فلكها (هبة، حراك، ثورة)، كلها تفضي الى إرادة شعب يأبى أن يعيش إلا حرّاً، منذ أكثر من مئة عام عندما كان مشروع دولتهم المزعومة مجرد فكرة، كان أجداد هذا الجيل ينتفضون في وجه الإنجليز، إذا هي جينات تتناقل وتتكاثر مع الزمن عكس ما يتوهمون أن (الكبار يموتون والصغار ينسون). في شهر أيار (مايو) الفائت، شاهد العالم حلقة جديدة من مسلسل الانتفاضات الفلسطينية، كانت شرارتها من عدم السماح لنكبة أخرى أن تحصل في أحياء القدس كالشيخ جراح وسلوان، وكالعادة، سطر أبناء القدس أسمى معاني البطولة والصمود في الدفاع عن عاصمتهم ومقدساتها، واللافت هذه المرة أن كل مكونات الشعب الفلسطيني خرجت إلى خطوط التماس مع العدو، الضفة، والقطاع، والداخل، والشتات، جميعهم هبوا من أجل القدس.

ساهمت مجلة «شؤون فلسطينية» وعلى مدار تاريخها الممتد إلى نصف قرن في تغذية الوعي والفكر الفلسطيني في مختلف جوانب القضية، فالانتفاضة الفلسطينية كما شغلت الحيز الأكبر في التاريخ الفلسطيني، شغلت أيضاً الحيز الأكبر في أوراق المجلة. ترسم هذه المادة صورة بانورامية لجزء من المقالات والأبحاث التي تناولت موضوع الانتفاضة، بشيء من التنوع متجنبة التكرار.

عمل أيمن يوسف من خلال مقالته التي حملت عنوان (المقاومة الشعبية الفلسطينية: نمذجة المواقع وإشكاليات الرؤية، العدد 268، صيف 2017، ص24-42)، على وضع أرضية نظرية ومفاهيمية للمقاومة الشعبية بشكل عام، ودراسة بعض المحطات التاريخية الهامة في مسيرة المقاومة الشعبية الفلسطينية كالانتفاضتين الأولى والثانية. وقبل أن يخوض الكاتب

*باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية

هـذا المضمـار، رجّـح عـودة مصطلـح المقاومـة الشـعبية مـع مطلـع القـرن الحـادي والعشـرين؛ لمجموعـة مـن العوامـل والمتغيـرات، منهـا: تجربـة الانتفاضـة الثانيـة التـي مالـت إلـى العسـكرة، ومـا خلفتـه مـن دمـار هائـل فـي الأراضـي الفلسـطينية علـى الصعيـد البشـري والبنيـة التحتيـة وحتـى علـى المسـتوى النفسـي، وانسـداد الأفـق التفاوضـي مـع إسـرائيل باتـت المقاومـة السـلمية خيـاراً فلسـطينياً إسـتراتيجياً.

بالعـودة إلـى الإطـار النظـري والمفاهيمـي، يـرى يوسـف أن هنـاك تداخـلاً بـين مفاهيـم المقاومـة الشـعبية، والمقاومـة اللاعنفيـة، والمقاومـة المدنيـة، والمقاومـة السـلمية فـي المحتـوى والمضمـون، باسـتطاعته القـول إن المقاومـة الشـعبية بـكل ألوانهـا ومسـمياتها تركـز علـى بنـاء نظـام قيـم عالمـي لمقاومـة الظلـم والعـدوان، ومعالجـة العنـف الدمـوي بوسـائل سـلمية لاعنفيـة، والحالـة الفلسـطينية تمثـل مقاومـة شـعبية ضـد احتـلال مباشـر قمعـي وإحلالـي منظـم، فـلا بـد مـن الاسـتعانة بمدرسـتين فكريتـين همـا: المدرسـة الغانديـة ذات التوجهـات المثاليـة، ومدرسـة جنـي شـارب (Gene Sharp) صاحـب التوجهـات الواقعيـة البراغماتيـة، ومـن الجيـد الحديـث عـن أشـكال النضـال السـلمي التـي تمـت الإشـارة إليهـا فـي المقـال كالمقاومـة الرمزيـة، والمقاومـة التراكميـة، والمقاومـة الهجوميـة، والمقاومـة الدفاعيـة، والمقاومـة الإيجابيـة، ولـكل واحـدة محدداتهـا وأسـلوبها.

يُقِـر الكاتـب بفكـرة أنـه فـي سـبيل خلـق مقاومـة شـعبية ذات طابـع مدنـي لمواجهـة الاحتـلال، مـن الضـروري بلـورة مقاومـة جماعيـة علـى المسـتوى الوطنـي، ولكـي تنجـح هـذه الحركـة الشـعبية المقاومـة فـي تحقيـق أهدافهـا السياسـية العليـا فـي التحـرر مـن الاحتـلال، يجـب توفـر شـروط ومسـتلزمات، علـى رأسـها: الشـعور التضامنـي داخـل الحركـة نفسـها لتحتضـن كل شـرائح المجتمـع بمختلـف توجهاتهـم وانتماءاتهـم، وضـرورة إيجـاد توازنـات هامـة بـين القـدرات الذاتيـة والأهـداف ودراسـة قـدرات المسـتعمر مـع تمكـين التركيبـة التنظيميـة العامـة، كذلـك وضـع إسـتراتيجية واضحـة للمواجهـة مدعومـة بمجموعـة مـن التكتيـكات المحوريـة، بالإضافـة إلـى تحشـيد مصـادر الدعـم الداخلـي والخارجـي للثـورة الشـعبية، وهـذا يشـمل مصـادر الدعـم الاقتصـادي والمالـي والدعـم الطبـي واللوجسـتي.

فـي تاريـخ فلسـطين الحديـث، الـذي ولـد فـي مطلـع القـرن الماضـي مـع انهيـار الدولـة العثمانيـة وسـقوط فلسـطين تحـت وطـأة الاسـتعمار البريطانـي، سُـجل وأُرشـف العديـد مـن الانتفاضـات والهبـات والثـورات الفلسـطينية سـواء فـي

وجه الإنجليز أو في وجه الصهاينة، ولعل ثورة عام 1920 هي البنت البكر لتاريخ المقاومة الفلسطينية. وضع محسن يوسف في مقالته (انتفاضة عام 1920 الفلسطينية في وثائق وزارة الخارجية البريطانية، العدد 227-228، شباط (فبراير)/ آذار (مارس) 1992، ص3-18)، القارئ في صورة المشهد الذي لم يعاصره غالبية الشعب الفلسطيني الحالي. يقول محسن يوسف إن أحداث انتفاضة عام 1920 سبقتها أجواء عامة مشحونة بمشاعر الاستفزاز والثأر نتيجة بعض العوامل التي كانت تحيط بالمشهد، فهجرة اليهود إلى فلسطين وبيع الأراضي لهم، إلى جانب الانحياز الرسمي البريطاني للحركة الصهيونية من أهم العوامل التي أججت المشاعر.

كانت احتفالات النبي موسى في ذلك العام وأعمال العنف التي واكبت هذا الاحتفال هي عود الكبريت الذي أشعل لهب الانتفاضة، افتقر أسلوب الفلسطينيين للتنظيم الجيد سواء كان في عملية الهجوم أو في عملية الدفاع عن النفس من الجماعات الصهيونية والجيش البريطاني، ويمكن ترجيح سبب سوء التنظيم إلى فكرة أن الفلسطيني كان يحارب ضد الجبهتين الصهيونية والبريطانية. في المقابل، كانت الجماعات الصهيونية أكثر تنظيماً، وكانوا يأتمرون بأوامر تنظيم مركزي، وهو ما افتقده الجانب الفلسطيني، إن من أهم الاستنتاجات التي خرج بها الكاتب هي أن الانتفاضة على الرغم من عفويتها إلا أنها جاءت في توقيت ممتاز؛ لأن جماهير غفيرة من المسلمين تجمهرت في المدينة في ذلك الوقت.

وفي استنتاج آخر، أكد أن العقبة الرئيسية التي واجهت الانتفاضة كانت اقتصارها على مدينة القدس وعدم وصولها إلى المدن الأخرى، وذلك لعدم تبلور قيادة فلسطينية جماهيرية في ذلك التاريخ.

إن مقبل حسن يوسف كان الروائي والكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، الذي كان من أوائل الذين خطت كلماتهم مجلة شؤون فلسطينية، منها مقالة مطولة روست بعنوان (ثورة 1936-1939 في فلسطين: خلفيات وتفاصيل وتحليل، العدد 6، كانون الثاني (يناير) 1972، ص45-77)، أعادت إلى الأذهان صورة الثورة الفلسطينية الكبرى مصبوغة بطابع اشتراكي طغى على المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في النص، استفاض كنفاني في تشخيص وتحليل وضع كل من العمال والفلاحين والمثقفين في تلك الحقبة، وعن طبيعة التناحر بين هذه الطبقات من جهة ونظيرتها الصهيونية على الجهة المقابلة.

جلب كنفاني مجموعة من وجهات النظر التي تفسر أسباب اندلاع الانتفاضة. فمن عبد الوهاب الكيالي الذي يرى أن الثورة تفجرت في شهر شباط حين تألفت حامية من العمال العرب طوقت إحدى المدارس التي كان مقاولون من اليهود يقومون ببنائها بواسطة عمال يهود فقط، إلى يهودا بوبير الذي يعتقد أن الحادث الذي وقع في نيسان/ أبريل عندما هاجمت حشود من العرب في يافا المارين اليهود، مروراً بتقرير اللجنة الملكية البريطانية (بيل) التي ردت الأسباب في انفجار الثورة إلى سببين: الأول رغبة العرب في نيل الاستقلال القومي، والثاني كرههم لإنشاء الوطن القومي اليهودي، وهنا اعتبر كنفاني أن السببين في الواقع هما سبب واحد. والبريطانيون استخدموا وسيلتين للقضاء على الثورة، فمن جهة، ضرب الفقراء والثائرين بعنف شديد للترهيب، ومن أخرى باستخدام نفوذهم الواسع لدى الأنظمة العربية التي لعبت دوراً كبيراً في تصفية الثورة على حد قوله.

جاءت نكبة عام 1948 وتبعتها نكسة عام 1967، لتشعر أنه مع كل هزيمة عربية يتبدد حلم الفلسطيني في التحرير أكثر، ومع توقيع اتفاقيات السلام على غرار كامب ديفيد، أدرك الفلسطيني أنه «لا يحك جلدك سوى ظفرك»، ولا بد من عودة الشعب إلى سابق عهده مفجر الثورات والانتفاضات، واندلعت انتفاضة الحجارة التي أيقظت المجتمعين العربي والدولي من سباتهما، وردّت روح العزيمة والانتصار إلى صدور الفلسطينيين. هذا الحدث الفلسطيني تم تشخيصه وتحليله من كل الاتجاهات إستراتيجياً، اقتصادياً، اجتماعياً، نقدياً، وفي كلا الجانبين الفلسطيني والصهيوني.

نظر هيثم كيالي إلى الانتفاضة من منظور وتحليل إستراتيجي، ودون مقالته (الانتفاضة في إطارها الإستراتيجي، العدد 194، أيار (مايو) 1989، ص3-16)، التي اعتبر فيها أن الانتفاضة تتبع لإستراتيجية الفقير في مواجهة إستراتيجية الجبروت التي ينفذها العدو الصهيوني، وإستراتيجية الفقير جوهرها الديمومة، وهي باختصار ترمي إلى ضرورة الحركة في كل مكان وزمان، حتى يضطر العدو لوجوده الدائم، وبهذا، تتفتح شرايين استنزافه وهدر طاقاته، والنصر سيكون لمن صبر وصابر وجعل الصراع ضد العدو سجالاً لا تهدأ الحركة فيه، ودون حساب للخسائر والأرباح. وحتى تدوم الانتفاضة إلى يوم بلوغ هدفها، لا بد أن تحقق مبدأ الكفاية الذاتية، وبخاصة في المواد الأولية، ومن عوامل الديمومة أيضاً أن تكون لدى قيادة الانتفاضة رؤية إدراكية للذات ورؤية للعدو وقدراته، ويشير كيالي إلى أن المصدر الذي تستمد منه

الانتفاضة طاقاتها على الديمومة يتجسد في إرادة رفض الاحتلال.

كما تحدث الكاتب عن بعض المكاسب التي حققتها الانتفاضة بعد مضي عام ونصف العام على اندلاعها؛ إذ أصابت الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية بهزة عنيفة حين أسقطت منها نظرية «الحدود الآمنة»، وأيضاً استنزفت إسرائيل مادياً، ومعنوياً، وسياسياً، واجتماعياً، وعمقت من جروحها على المستوى الدولي والإعلامي. والانتفاضة قزمت وحجمت من القدرات العملياتية للجيش، إذ إن المعادلة كانت طردية، فكلما ازداد القمع الإسرائيلي، ازداد اتساع نطاق الانتفاضة.

وتناول فايز سارة في مقالته (البنية الاجتماعية للانتفاضة الفلسطينية، العدد 189، كانون الأول (ديسمبر) 1988، ص 3-19)، الجانب الاجتماعي من الانتفاضة من طرف الفلسطينيين، وسلط الضوء على كل مركبات المجتمع الفلسطيني من عمال وفلاحين وبرجوازيين وطنيين وفئات مهنية وطلبة ونساء، ليضع صورة لأطياف المجتمع الفلسطيني في فترة الانتفاضة الأولى. لقد وجد سارة أن الطبقات الاجتماعية الرئيسية في الضفة الغربية وقطاع غزة اشتركت بهمة عالية في الانتفاضة، مع مراعاة أن لكل طبقة ما يميزها عن غيرها، ومن المهم التنويه إلى أن الكاتب قسم مكونات المجتمع إلى طبقات وفئات، الطبقات (العمال، الفلاحين، البرجوازية الوطنية)، الفئات (المهنيين، الطلبة، النساء).

ختم فيها الكاتب مقالته بالحديث عن فئة النساء، إذ رأى أنهن مفاجأة الانتفاضة؛ فحجم وفاعلية مشاركتهن عكست التطور الملحوظ لوعيهن السياسي، وفئة الطلاب بحجمها الهائل وانتشارها في كل الأنحاء، ظهروا كقوة صدام أساسية وذراع الانتفاضة الضارب، أما فئة المهنيين الذين ينتمون في غالبيتهم إلى طبقة البرجوازية الوطنية، وفي اعتقاد الكاتب أن هذه الفئة (المهنيين) هي الأقدر والأمكن على قيادة الانتفاضة. أما في خانة الطبقات، فكانت البرجوازية الفلسطينية قد تعرضت للإضعاف من قبل الاحتلال، فوجدت نفسها في خندق المواجهة برفقة الفلاحين والعمال، هذه الطبقة وضعت تفاهماتها مع الاحتلال جانباً وانخرطت في فعاليات الانتفاضة.

ومن وجه نظر الكاتب، كانت طبقة الفلاحين الأقل انتشاراً في التجمعات السكنية إذا ما قورنوا بطبقة العمال، ولكن مشاركتهم في الانتفاضة كانت لها أهمية استثنائية، إذ أعطوا الانتفاضة أبعاداً إضافية، كفكرة

انتشارها وامتدادها مكاناً وزماناً، وإطلاق الاقتصاد الزراعي ليعزز أركان الصمود الاقتصادي الفلسطيني. أما طبقة العمال، فيرى سارة أنها الطبقة الأقوى والأهم في التركيبة الاجتماعية والسكانية الفلسطينية، إذ يزيد عدد المنضمين في إطارها على سدس السكان، وانخراطهم في الانتفاضة كان ذا أهمية وطابع إستراتيجي. ويبدو أن تبلور هذه الرؤية عند الكاتب هو ما دفعه لكتابة مقالة أخرى تنفرد فقط بدور العمال، وحملت عنوان (العمال الفلسطينيون والانتفاضة، العدد 198، أيلول (سبتمبر) 1989، ص 3-15).

شغلت طبقة العمال دوراً أساسياً ومهماً في الانتفاضة، كيف لا وهم الذين فجروا أحداثها بسبب عملية الدهس التي تعرض لها بعضهم بفعل مستوطن واستشهد على إثرها أربعة عمال. إن حجم القوة العاملة في الضفة والقطاع قدر بحوالي 284 ألفاً، أي ما يقارب 20 % من إجمالي السكان.

كان دور العمال وتأثيرهم في الانتفاضة في أكثر من اتجاه وعلى عدة أصعدة. كالامتناع عن الذهاب إلى العمل في المستوطنات والمشاريع الإسرائيلية في الضفة والقطاع، والتوقف عن الذهاب إلى العمل في الأسواق الإسرائيلية، إذ وصلت نسبة المتخلفين عن الذهاب إلى العمل نحو 40 % إضافة إلى انخراط العمال في عملية استنهاض الاقتصاد الفلسطيني، لا سيما في القطاعين الزراعي والصناعي، وفي هذا السياق، كان المغزى من عملية الاستنهاض هو تأمين سلع بديلة عن السلع الإسرائيلية، وتأمين فرص عمل للمضربين عن العمل في السوق الإسرائيلية، ومحاولة خلق بنية اقتصادية تكوّن مواجهة للبنية الاقتصادية الإسرائيلية. هذا في إطار الدور. أما التأثير، فكان ملحوظاً وفعالاً، فبسبب الإضراب والمقاطعة، انخفض المحصول الزراعي الإسرائيلي عام 1988 بمقدار 30 % وتراجع الإنتاج الصناعي خلال الثمانية أشهر الأولى للانتفاضة بنسبة 20 % وفي قطاع السياحة، تقلصت العائدات السنوية بنسبة 30 % وأكد مسؤولون إسرائيليون أن الانتفاضة كلفت إسرائيل في الثمانية أشهر الأولى حوالي 800 مليون دولار. وفي تصريح لمدير عام وزارة الصناعة والتجارة، ذكر أن إسرائيل تكبدت خسائر سنوية في المبيعات للضفة والقطاع مقدارها 600 مليون دولار.

صحيح أن سارة أعطى في مقاله بعض المؤشرات والأرقام الاقتصادية التي بينت كيف أثرت الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي، ولكن ذلك في إطار رؤية اجتماعية، بينما كتب عبد العزيز الأعرج مقالاً بعنوان (الانتفاضة تعمق

أزمة الاقتصاد الإسرائيلي، العدد 195، حزيران (يونيو) 1989، ص 46-36)، يحتوي على رؤية اقتصادية واضحة ومركزة تعكس تأثير الانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلي. حاول الأعرج من خلال مقالته أن يضع القارئ في صورة الوضع الاقتصادي الإسرائيلي في قطاعاته الرئيسية: الصناعة، والزراعة، والبناء، والسياحة، والضرائب، إضافة إلى خسائر الجيش والشرطة، وسنستعرض بعض هذه القطاعات.

في القطاع الصناعي، تعتبر سياسة الإضرابات العامة سكيناً في خاصرة هذا القطاع، فمثلاً، أعلنت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الإضراب العام في تاريخ 21/12/1987، وفي هذا اليوم فقط، تكبد قطاع الصناعة خسائر بقيمة 12 مليون شيقل، وفي النصف الثاني من العام 1988، بلغ عدد الشركات الإسرائيلية التي تعاني من مشاكل مالية حوالي 3400 شركة.

وتعرض قطاع الزراعة الذي يعتبر ركناً أساسياً في الاقتصاد الإسرائيلي إلى ضربات موجعة كون نسبة العمال الفلسطينيين العاملين في هذا القطاع تصل إلى 18 % واللافت في هذا الشأن أن الاضطرابات جاءت في وقت حساس (موسم قطف الثمار)، لذلك، حدث انخفاض في منتوج البرتقال بنسبة 50 % في إحدى المناطق، ناهيك عن آلاف الأطنان من الثمار التي تعفنت وباتت غير صالحة، وجزء منها كان معدّاً للتصدير. وعلى مستوى الجيش والشرطة، كانت هناك خسائر فادحة وتكاليف تقدر بالملايين جراء انتشارهم، إذ أشارت التقارير والإحصائيات إلى أن التكاليف وصلت إلى 42 مليون دولار أميركي شهرياً، وحتى كانون الثاني (ديسمبر) 1988 وصلت إلى ما يزيد على 545 مليون دولار.

تأثير الانتفاضة على المجتمع الإسرائيلي لم يقتصر فقط على الجانب الاقتصادي، بل طال الوضعين السياسي والاجتماعي فيها، وهذا ما يبحثه يونس السيد في مقاله (الانتفاضة وتأثيرها في الوضعين السياسي والاجتماعي الإسرائيلي، العدد 196، تموز (يوليو) 1989، ص24-3)، فتأثيرها على الوضع الاجتماعي كان واضحاً متجسداً في الرأي العام الإسرائيلي، إذ نجحت الانتفاضة في تعميق الهوة داخل المجتمع الإسرائيلي وأحدثت تشققات بالغة، تحديداً بين الشعب ومؤسسته العسكرية، فالأخيرة كانت تتمتع بثقة شبه مطلقة من الشعب، حتى نالت في استطلاع الرأي الذي أجرته جامعة تل أبيب نسبة 94% من ثقة الجمهور، ولكن بفعل الانتفاضة وعدم القدرة على إخمادها، كانت المؤسسة العسكرية هي الأكثر تعرضاً للهجوم

والانتقاد، كما اهتزت صورة الجيش الإسرائيلي أمام مجتمعه.

كذلك أوقعت الانتفاضة الأثر في المجال السياسي الإسرائيلي، فعلى مستوى الحكومة الإسرائيلية، وُجهت إليها انتقادات عديدة تركزت في ثلاث نقاط: فشلها في قمع الانتفاضة، وفشلها في إدارة المناطق المحتلة وعدم قدرتها على خلق قيادات سياسية تابعة لها في تلك المناطق، بالإضافة إلى رفضها المتواصل للمقترحات السلمية. وعلى مستوى الأحزاب والحركات الإسرائيلية، فقد زادت الانتفاضة من حدة الخلاف المستحكم بين الحزبين الكبيرين: العمل والليكود. وظهرت أيضاً تصدعات عديدة داخل الأحزاب نفسها نتيجة تعدد واختلاف الرؤى في كيفية مواجهة الانتفاضة، بين مؤيد لحلول سلمية وآخر مناصر لفكرة القوة العسكرية.

من المهم أن يكون ذكرى يوم الأرض حاضراً في هذه الأنثولوجيا، تماماً كما هو حاضر في تاريخ الشعب الفلسطيني وفصول مقاومته الشعبية، لما يحمله هذا اليوم 1978/3/30 من رمزية وطنية نضالية فلسطينية. ولعل الذكرى الثانية عشرة ليوم الأرض كان لها رونق خاص نظراً للتوقيت الذي أحييت فيه هذه الذكرى «الانتفاضة الأولى»، ويرصد تقرير لخليل السعدي بعنوان (الذكرى الثانية عشرة ليوم الأرض: إضراب عام وتظاهرات ومصادمات، العدد 182، أيار (مايو) 1988، ص79-87)، أهم الأحداث والفعاليات التي شهدها ذلك التاريخ، نظراً لأن الجماهير الفلسطينية في الأراضي المحتلة تحديداً وجدوا أن هذه فرصة مناسبة ليجددوا تضامنهم مع أبناء قضيتهم في الضفة والقطاع، وليؤكدوا أنهم ما زالوا ضلعاً في جسم القضية الفلسطينية ولم يبتروا.

في سياق الاستعدادات لهذا اليوم، قررت الإدارة العامة للجنة القطرية للدفاع عن الأراضي خلال اجتماعها في الناصرة، الدعوة إلى إعلان الإضراب العام والشامل للجماهير العربية الفلسطينية داخل الخط الأخضر، كما قررت اللجنة إقامة مسارات مركزية في ثلاثة مواقع في آن واحد وهي: البطوف، والمثلث، والنقب، ونشاط مركزي آخر في كفر كنا.

على الجانب الآخر، اتخذت سلطات الاحتلال سلسلة من الإجراءات لمواجهة احتمال وقوع أحداث عنيفة نظراً للانتفاضة المستمرة في الأراضي المحتلة عام 1967، وبالتالي وقوع الاحتلال بين مطرقة الانتفاضة وسندان الداخل المحتل. وبالعودة إلى الإجراءات التي سعى الاحتلال من خلالها لشل حركة الشارع الفلسطيني، عن طريق فرض منع تجول في الضفة وغزة والداخل،

ومنع حركة الصحفيين، وإغلاق بوابات العبور والجسور، ونشر قوات الشرطة في أماكن عديدة في مناطق الداخل، عمت حالة من الاستنفار في كل مؤسسات ومراكز الاحتلال. وبعد كل هذا، خرجت مصادر أمنية إسرائيلية تعبر عن خيبة أملها من حقيقة أن جميع الإجراءات الوقائية والاستعدادات المسبقة لم تثبت فعاليتها في معظم المناطق.

بعد أن أسدل الستار عن الانتفاضة مع بداية عقد التسعينيات، بدأت الكتابات حول الانتفاضة تنطلق من تقييم التجربة ودراستها، فكتب محمد الجندي مقالاً بعنوان (أفق الانتفاضة الفلسطينية، العدد 194، آذار (مارس) 1990، ص13-25)، طرح فيه فكرة الإطار السياسي للانتفاضة، واعتبر أن إطارها السياسي يتمثل في تطبيق قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (181)، والمطالبة بإقامة دولة فلسطين على الأراضي الفلسطينية التي احتلت عام 1967 والمؤلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة. بالمقابل، رفضت الإدارة الإسرائيلية وشقيقتها الأميركية مثل هكذا حل، وضمن هذا السياق، طرح الجندي السؤال التالي: هل ثمة أفق لحل القضية الفلسطينية في منحنى الصالح الفلسطيني ضمن مركب الظروف الحالية (في تلك الفترة)؟

وكانت إجابته أن الموقف الأميركي- الإسرائيلي لا يدع هامشاً للحل الوسط ما دام التطرف الليكودي- العمالي يسيطر على الحكم هناك، وبالتالي، لا يوجد أمام الفلسطينيين سوى حلين أو حلّ مركب من الحلين معاً، فإما أن يستمروا في طرق باب المجتمع الدولي من أجل المساعدة على إيجاد حل (الاتحاد السوفييتي، أوروبا الغربية، الأمم المتحدة)، أو الاعتماد على الانتفاضة من أجل انتزاع الحق الفلسطيني بالقوة، ولكن مع ضرورة عدم ربط الانتفاضة بالكفاح المسلح.

في المقابل، خصص محمد الأزهري مقالته (الانتفاضة ومفهوم المقاومة المدنية، العدد 206، أيار (مايو) 1990، ص 13-34)، لعرض وجهات نظر وحجج المعارضين لفكرة المقاومة الشعبية في السياق الفلسطيني ومحاولة الرد عليهم، ومن هذه الحجج: (1) المقاومة المدنية مرادف للسلبية، ومن يتبنى الدعوة إليها غالباً ما يكون شخصاً سلبياً ومستكيناً، ومعارضة استخدام العنف لا تعبر إلا عن العجز وعدم الرغبة في المقاومة الحقيقية، الرد: المقاومة الشعبية لا تعني السلبية، بل العكس هو الصحيح، فخروج الجماهير إلى الشوارع وقرار التصدي والمواجهة وعملية الحشد والتعبئة، لا

تعبر عن سكون أو عدم رغبة في المواجهة، السلبية تكون في الجلوس على مقعد المتفرج. (2) أنماط المقاومة المدنية تمنع الدفاع الشرعي عن النفس في مواجهة عنف المحتل، الرد: ليس ثمة ما يوحي أن الفلسطينيين وقيادتهم على الأرض قد أغلقوا باب الدفاع عن النفس، وفي أحد البيانات، دعت القيادة الموحدة إلى الانتقام من قوات الاحتلال، وأن يكون كل شهيد مقابله قتيل، كما أن الأسلحة البدائية كالحجر والسكين كانت حاضرة، وبالتالي، فالعنف كان حاضراً ولكن ضمن الإمكانيات الممكنة. (3) مفهوم الجهاد يتضمن اللجوء إلى العنف، الرد: هذه الحجة تنطلق من محورية الثقافة الإسلامية في إطار الحياة الفلسطينية، ولكن مفهوم الجهاد الإسلامي أوسع بكثير من مجرد المقاومة بالعنف، وأي وسيلة تستخدم ضد المحتل هي بحد ذاتها جهاد، ولذلك، فمختلف أشكال المقاومة المدنية تدخل في حوزة الجهاد.